الترجمة وأثرها في حفظ الهوية

Jehad Mohamad AlHennawy
Universiti Sains Islam Malaysia (USIM)
jehad511988@hotmail.com

Zainal Abidin Hajib
Universiti Sains Islam Malaysia (USIM)
drzainal62@gmail.com

Maskanatul Fiqiyah
Universiti Sains Islam Malaysia (USIM)
kanaphd@gmail.com

Abstract: *Translation is involved in human's activity and social development and it is an international communication tool between people of different languages and cultures. The Arabs have been aware of the art of translation since ancient times. The Qur'an has discussed on the fact that people are created differently in races, ethnics, languages and customs. Translations are not exclusive to a linguistic activity based on what is said, or what is written, it also includes a complex epistemic and linguistic work. Translations are effective in spreading cultures and civilisation. Arabic language is the identity of those people who express their culture, combine their ideas, which is the indication of a nation's progress and deterioration. Translation is a link in a chain that begins with knowledge acquisition in the first language and ends with culture, through the construction of the intellectual system and the strengthening of its individual and social identity. From the above statement, we are confident that translation plays a vital role in the process of adaptation between different nations and civilizations, as this is still the most sucessful way to integrate one civilisation with another and vice versa; This has played an effective role in the progress of nations, and creates dialogues between different ideas, working to bridge the gap between different civilisations and nations, and strive to expand ideology and develop identity whilst preserving it from deterioration.*

Keywords: *translation, linguistic, identity*

Abstrak: Munculnya terjemahan sebagai kegiatan manusia perkembangan sosial manusia. Orang-orang Arab sudah mengetahui terjemahan sejak zaman kuno. Ketika mereka bermigrasi untuk berdagang di musim panas dan musim dingin, terjemahanpun memiliki peranan penting dalam memahami Al-Qur'an, karena manusia diciptakan secara berbeda dalam ras, suku, suku, bahasa, adat dan lain sebagainya. Terjemahan bukan hanya merupakan aktivitas linguistik berdasarkan apa yang dikatakan, atau apa yang ditulis, melainkan merupakan kata kerja epistemik dan linguistik yang kompleks. Terjemahan efektif dalam mentransmisikan budaya dan peradaban. Bahasa Arab adalah identitas orang-orang yang mengekspresikan budaya mereka, dan menggabungkan ide-ide mereka, yang merupakan ekspresi dari kemajuan dan kemunduran bangsa. Penerjemahan adalah mata rantai dalam rantai yang dimulai dengan perolehan pengetahuan dalam bahasa ibu dan berakhir dengan kepemilikan budaya, melalui pembangunan sistem intelektual dan penguatan milik individu dan identitas sosialnya. Dari penjelasan di atas, kita tahu bahwa penerjemahan memainkan peran besar dalam proses pemulihan hubungan antara negara, orang, dan peradaban, sebagaimana dulu dan masih merupakan cara paling sukses untuk memvaksinasi peradaban satu sama lain; Ini telah memainkan peran yang efektif dalam memajukan bangsa, dan menciptakan dialog antara berbagai literatur dan bekerja untuk mengembangkan pemikiran dan membangun identitas serta melestarikannya dari kehilangan dan penyebaran.

Kata kunci: *terjemahan, lingistik, identitas*

المقدمة

قد كانت الترجمة ولا زالت بمثابة الجسر الذي تعبر الثقافات من خلاله إلى باقي المجتمعات حولها، دون الحاجة إلى أيّ جواز؛ فهي تلعب دوراً كبيراً في خلق الحوار بين الآداب المختلفة، وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات، وتهيئة الظروف لإيجاد أدب مشترك، حيث أصبحت الترجمة في يومنا هذا من أهم وسائل التلاقح الثقافي، وتحقيق التقارب المنشود بين الأمم والشعوب.

و قد يبدو المع بين الترجمة وبين الهوية الثقافية أمراً متناقضاً؛ حيث إنَّ الترجمة في معناها البسيط هي نقلٌ من ثقافة إلى أخرى، ومن هوية إلى هوية مختلفة، وكذا فإنَّ الهوية الثقافية في معناها البسيط هي كيانٌ مترابطٌ متجانسٌ في بنيته الداخلية وتجلّياته الخارجية، لكن عند إمعان النظر يتبيّن لدينا أن هناك توافقاً وتناسقً جوهرياً في العبارة السابقة؛ لأنَّ نواتج الترجمة تشكِّل إحدى مكونات الهوية الثقافية لدى كثير من الأمم والجماعات، وتختلف أهميتها من ثقافة إلى أخرى.

ومن الجيّد أن نعيَ أنَّ الهوية الثقافية والحضارية عند الأمم تصنعها عوامل ومكوّنات مختلفة، منها ما هو موروث عن الماضي، ومنها ما هو نتاج الحاضر، وبعضها ناتج عن احتكاك الأمم والجماعات الأخرى.

والترجمة عن اللغات تُثري الهوية الثقافية، وتقوّيها ولا تضعفها أو تشوّش خصائصها، وقد ساعدت الترجمة المسلمين في الإفادة من تراث الحضارات السابقة، فالترجمة عامل إنقاذ للثقافة والحضارة من الغرق والتشتت والضياع.

إنَّ شعوبا وحضارات لا تُولي الترجمة الأهمية الجديرة بها داخل منظومة السياسة الثقافية الخاصة بها تظلّ بمثابة شعوب ميّتة، وثقافات جامدة خارج دائرة الإنتاج المعرفي الدولي المتسارع. فالترجمة تشكل عاملا مهما في تشكيل الهوية الثقافية للأمم؛ إذ ينتقل النتاج الفكري والعلمي وغيرها من لغة إلى أخرى عن طريق الترجمة.

لذا فإنَّ الترجمة والهوية الثقافية ليسا على طرفي نقيض، وإنّما تجمعهما علاقة وطيدة؛ حيث إنَّ للترجمة الأثر البالغ في تكوين الحضارة والهوية والحفاظ عليها، وليس أدلّ على ذلك من إفادة الترجمة في بناء الهوية الثقافية للحضارة الإسلامية، لا سيّما في العصر العباسي، وكذلك الحضارة الأوربية لا سيّما بعد العصور الوسطى.

ولذلك يسعى الباحث في هذا البحث إلى بيان هذا الدور المنوط بالترجمة، والوقوف على أهميته في تكوين الهوية الثقافية والحضارية والحفاظ عليها، حيث سيتعرّض البحث إلى تعريف الترجمة لغة واصطلاحا، ثم يقف على نشأة الترجمة وتاريخ تطورها، بدءا من عصر صدر الإسلام، ومرورا بالعصر الأموي الذي شهدا تطورا ملموسا في الترجمة، ثمّ مرورا بالعصر الذهبي للترجمة؛ العصر العباسي، والذي يعدّ من أزهى عصورها عند العرب، وليس انتهاء بعصر النهضة والعصر الحديث، ثم ذكر البحث أهمية الترجمة ودورها الإيجابي في العلوم شتّى، ثمّ تعرّض للهوية الثقافية؛ فبسط مفهومها، وماهيتها، والعلاقة بينهما، ثم ذكر البحث اللغة والثقافة، وتعرض إلى الازدواجية فيها بعد ذلك ولج البحث إلى بيان أوضاع الترجمة في الوطن العربي لا سيّما في فلسطين، ثمّ الدور الإيجابي لها في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية، ثم اختتم البحث بمقترحات للنهوض بالترجمة، وتأكيد دورها الفعّال.

ويهدف هذا البحث بشكل عام إلى بيان العلاقة الوطيدة بين الترجمة والهوية الثقافية، والتي تعدُّ الترجمة إحدى مكوّنات الهوية الثقافية، وكذلك يهدف الباحث لبيان أهمية الترجمة بين الفنون المتعددة، وإبراز الدور الكبير الذي تقوم به الترجمة في بناء الهوية والحفاظ عليها من الضياع.

مناهج البحث

منهج الدراسة

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي؛ فيمثل المناهج أساسًا رئيسًا في الأبحاث والدراسات؛ لأنه يعبر عن الطريق الواضح، والوسيلة المحددة التي توصل إلى غاية معينة، ويتمحور المنهج العلمي حول خُطة منظمة لعدَّة عمليات ذهنية أو حسية؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها.

نوعية المنهج

لا بدّ لأيّ دراسة علمية أن تتبع منهجاً علمياً لتحقيق أهدافها، ويرى الباحث أن هذه الدراسة التي بين أيدينا ستقوم على أسس المنهج الوصفي وخصائصه، لا سيّما وأن طبيعة هذه البحوث اللغوية تتناسب مع المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الوصفي وأسسه وخصائصه تتناسب مع البحوث اللغوية للارتباط الكبير بينهما، وتعتمد الدراسة الحالية على المنهج الوصفي، الذي يعدُّ "أسلوبًا من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة

عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية؛ بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"، والتي تدور حول دور الترجمة في حفظ هوية الأمم الثقافية والحضارية، ويمكن توضيح المنهج المتبع في تقصي مكونات البحث ومقترحاته في النقاط الآتية:

أولا, المنهج الوصفي التاريخي حيث يتعرض لمصطلخح الترجمة، والبداية الأولى له، وتطوره عبر الزمن، وتبين ما مراحل تطوره وصولا إلى صورته الحالية.

ثانيا, المنهج الوصفي التحليلي والذي يتعرض للهوية بمفهومها البسيط، ثم يبرز العلاقة بين اللغة والثقافة، والذي تشكل الترجمة جزءا منه، ومن ثم يصف حالة الترجمة في الوطن العربي، ومن ثم يصف دورها الإيجابي في غرس الهوية الثقافية والحضارية للأمم.

تصميم ومكونات البحث

يتعرّض البحث إلى تعريف الترجمة لغة واصطلاحا، ثم يقف على نشأة الترجمة وتاريخ تطورها، ثم ذكر البحث أهمية الترجمة ودورها الإيجابي في العلوم شتّى، ثمّ تعرّض للهوية الثقافية؛ فبسط مفهومها، وماهيتها، والعلاقة بينهما، ثم ذكر البحث اللغة والثقافة، وتعرض إلى الازدواجية فيها بعد ذلك ولج البحث إلى بيان أوضاع الترجمة في الوطن العربي لا سيّما في فلسطين، ثمّ الدور الإيجابي لها في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية، ثم اختتم البحث بمقترحات للنهوض بالترجمة، وتأكيد دورها الفعّال.

طريقة اختيار العينات

وأما طريقة اختيار العينات فهي أولا, المسح الشامل وتقصي تطور الترجمة عبر العصور المختلفة، لا سيما في عصور النهضة و ثانيا العمل على تحديد علاقة الهوية بالثقافة و بيان كيف تكون الترجمة جزءا من الثقافة و ثالثا حصر أحوال الترجمة في الوطن العربي، لا سيما فلسطين و الخروج برؤية كاملة عن الموضوع.

طريقة تحليل البيانات

وأما طريقة تحليل البيانات فهي أولا، دراسة مرادفات مصطلح الترجمة عبر العصور. وثانيا، وصف الترجمة في كل عصر، وبيان عوامل ازدهارها وتطورها. و ثالثا، دراسة العلاقات المتشابكة ما بين اللغة والثقافة والترجمة والهوية. ثم رابعا،استنباط الدور الإيجابي للترجمة من خلال عرض التجارب.

نتائج البحث

عمل البحثُ على الوقوف على دور الترجمة في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية، وقد توصّل إلى أن حركة التعريب خلال القرن الاول بوجود الرغبة الشديدة عند المسلمين، ويعدُّ عصر الخليفة العباسي المأمون العصر الذهبي للترجمة، وللترجمة أهمية تستمدها من القرآن الكريم؛ وذلك لأنّ الناس خُلقوا مختلفين من الأجناس والشعوب، وتعدّ اللغة من أهم العناصر التي تسهم في تكوين الثقافة، واللغة العربية هي هوية الشعوب المعبّرة عن ثقافتها، والجامعة لأفكارها، والرابطة لشتاتها، وهي الوطن الذي تنتمي إليه، وتأكد للباحث أن الترجمة عامل فاعل في إثراء الهوية الثقافية، والمحافظة عليها.

الترجمة والهوية الثقافية

مفهوم الترجمة:

الترجمة لغة، جاء في لسان العرب الترجمة مشتقة من الفعل "تَرجم" حيث يقال: "تَرجم كلامه بمعنى فسَّره بلسان آخر، والتُّرجمان والتَّرجمان هو المُفسّر لسان، وهو الذي ترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع: التراجم"[1]، وأمَّا صاحب الصحاح فقال: "يقال قد ترجم كلامه؛ إذا فُسّر بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع تراجم، مثل: زعفران وزعافر، ويقال: تُرجُمان بضمّ التاء والجيم"[2].

ولسنا في هذا البحث بصدد البحث عن تأصيل الكلمة، أو عرض تأريخا لتطوّر معاني هذه الكلمة ودلالاتها، فهذا يحتاج إلى بحث مفصّل، لكننا نخلص من خلال ما سبق أنَّ الترجمة هي تفسير الكلام بلسانٍ آخر وشرحه ونقله من كلامٍ إلى آخر.

والترجمة اصطلاحاً، "نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى مع المحافظة على التكافؤ[3] وقيل: والترجمة شرح وتفسير ما يقوله الآخر من لغة أخرى إلى لغة المتلقّي أو المجتمع، فهي بالنسبة للمُترجِم تفسير

[1] ابن منظور، ***لسان العرب***، (دار الجيل بيروت، 1988)، المجلد الثاني، 316

[2] أبو نصر إسماعيل الجوهري، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تحقيق: أحمد عبدالغفور، (دار العلم للملايين، 1990)، 1929

[3] سعيدة كحيل، ***تعليمية الترجمة دراسة تحليلية تطبيقية***، (عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ت)، 21

فكرة مُصاغة من قِبل غيره، ضمن لغة أخرى، وليس عليه أن يفتّش عن هذه الفكرة في أيّ مكان، بل كلّ ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى، وبعبارة أخرى الفكرة لا تعود إلى المترجم بل إلى مُنشئ النّص[4].

ومن هنا يمكن أن نتصور الترجمة على أنّها عملية يتم فيها نقل المعنى المراد ترجمته من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، بشرط التمكّن من كلتيهما، واحترام نظام اللغة الهدف، وإدراك ثقافتها بحيث لا يمكن فهم النّص إلّا باستحضار الجوّ الذي نشأ فيه[5].

إنَّ الترجمة الناجحة هي التي تترك في نفس القارئ نفس التأثير الذي يتركه النّص الأصلي، فمراعاة أسلوب الكاتب يلعب دورا كبيرا في إحداث هذا التأثير، إذ على المترجم أن يعرف أنواع النصوص وأهدافها، وأن يميّز بين النصوص الفلسفية التي تسعى إلى نقل فكرة معيّنة إلى القارئ، وبين النصوص الخبرية التي تهدف إلى إيصال المعلومات إلى المخاطَبين، كما يجب على المترجِم أن يعرف الأسلوب التعبيري الذي استخدمه الكاتب لنقل الأفكار والمعلومات إلى مخاطبيه.

مما سبق يتأكد لدينا بأنَّ الترجمة هي نقل الأفكار والمعاني من لغة إلى أخرى مع المحافظة على روح النص المنقول، أو هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى بأحسن ما يمكن.

نشأة الترجمة وتطورها عند العرب

ظهور الترجمة كنشاط إنساني واكب التطور الاجتماعي البشري، فهي أداة التواصل بين الأمم والجماعات التي تختلف لغاتها وطبيعتها، حيث استطاعت الترجمة أن تُخرج الشعوب من حدودها الجغرافية إلى الخارج للتفاعل مع جيرانها، ولعلّ أول ظهور للترجمة هي الترجمة الفورية التي ظهرت في العصر القديم نظراً لبساطة الأنظمة اللغوية، وعدم اختراع الكتابة، فكانت الترجمة هي أداة التفاهم بين الشعوب والقبائل والتجمعات البشرية سواء كان هذا في وقت الحرب والمعاهدات والاتفاقيات، أو في السلم من خلال المعاهدات التجارية والمعاملات اليومية، وبذلك لعبت الترجمة دوراً مهما في التفاعل والتفاهم بين الحضارات وفي نشر تعاليم الدين، ونشر النتاج الأدبي والثقافي، وساعدت في إحداث التفاعل بين الحضارات المختلفة على مرِّ العصور[6].

[4] سالم العيس، ***الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية***، (إتحاد الكتاب العرب د.م، 1999)، 6

[5] سعيدة كحيل، ***تعليمية الترجمة***، 21

[6] حسام الدين مصطفى، ***أسس وقواعد صنعة الترجمة***، (طبعة الكترونية، 2011)، 60

وقد عرف العرب الترجمة منذ أقدم العصور؛ حيث كانوا يرتحلون للتجارة صيفا وشتاء، ويتأثّرون بجيرانهم الفرس والروم في مختلف نواحي الحياة، وانتقلت إليهم ألوان من ثقافتهم، حيث كان هناك مستويات عالية، وتأثير قوي للمحتوى اللغوي والثقافي لهذه الحضارات، ودخلت بعض الألفاظ الفارسية إلى العربية، وظهرت في شعر كبار الشعراء، وكان الأعشى من أشهر من استخدم في شعره كلمات فارسية[7]، وما كان لهذا التأثير أن يظهر لولا نشاط الترجمة بين لغات الأمم ولغة العرب، وليس أدلَّ من ذلك وجود بعض الألفاظ الأعجمية التي استخدمها العرب في كلامهم، والعكس كذلك إذ ظهرت مفردات ومصطلحات عربية في لغتي الروم والفرس، ومن الصعب قيام ذلك ووجود تلك الصلات الأدبية والاقتصادية بين العرب وجيرانهم دون وجود ترجمة، وإن كانت في مراحلها البدائية[8].

الترجمة في عصر صدر الإسلام، والعصر الأموي

لقد دفع الإسلام والتواصل مع المجتمعات غير العربية النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم للبحث عن مترجمين، وتشجيع تعلّم اللغات الأجنبية، وأحد المترجمين الأكثر شهرة في ذلك الوقت هو زيد بن ثابت الذي أدّى دورا حاسما في ترجمة الرسائل التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك البلدان الأجنبية من بلاد فارس وسوريا وروما واليهود، وأيضا الرسائل المرسلة من أولئك الملوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثمّ في عقود لاحقة ترجم المسلمون القرآن الكريم إلى لغات عدة[9].

وقد شهد العصر الأموي تفاعلا حضاريا وفكريا بين العرب والمسلمين وأهل البلاد المفتوحة رغبة في التطلّع نحو علوم هذه البلاد، فكانت البدايات الأولى لتعريب الفلسفة والطب والكيمياء والفلك، ولقد توسّعت حركة التعريب خلال القرن الأول الهجري بتأثير المسيحين، ورغبة بعض الأمويين، وهناك أيضا دوافع أساسية أدت إلى ظهور حركة الترجمة في العصر الأموي، والتي منها: اهتمام الخلفاء بترجمة الكتب، وظهور الفرق الإسلامية ومذاهبها، وإقبال أهل الذمّة على الدخول في الإسلام[10].

---

7 سعد الدين مصطفى، ***الألفاظ الفارسية في الشعر الجاهلي***، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) المجلد 82، ج3، 577. pdf5-3-82/mag82http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/magazine/mag.

8 يحي معروف، ***دور الترجمة والمترجمين في حوار الحضارات***، مركز النور، 14 يوليو (2009)، 52614http://www.alnoor.se/article.asp?id=

9 أماني أبور حمة، ***حركة الترجمة في العالم العربي***، مجلة ذوات مجلة ثقافية إلكترونية نصف شهرية تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث العدد 8- (2015)، 3384https://www.mominoun.com/articles

10 خالد يوسف صالح، ***حركة الترجمة في بلاد الشام في العصر الأموي***، معهد إعداد المعلمات، نينوي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 1، 31 يوليو (2011): 241 =25554https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId

وقد بدأت حركة التعريب في العصر الأموي ونشطت في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان، وابنه الوليد، حيث جعلا اللغة العربية اللغةَ الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها، وقد توسّعت حركة التعريب خلال القرن الأول الهجري بوجود الرغبة الكبيرة عند بعض المسلمين، لا سيّما خالد بن يزيد الذي كان عالِما وأديبا، ومن أول المحبين لعلوم اليونان، حيث أمر بترجمة الكتب في علم الطب والكيمياء وغيرها[11].

والحقَ فإنَّ عصر الترجمة في العهد الأموي قد بلغ من التطور والإقبال على الدرس والتحصيل حداً كبيرا، حيث وصل تشجيع العلم ورعاية العلماء منزلة قلّما تجدها في عصر من العصور.

الترجمة في العصر العباسي: أمّا في العصر العباسي فقد ازدهرت الترجمة ازدهارا عظيما؛ حيث كان العرب قبل العصر العباسي منشغلين بالفتوحات، وما إن استقرت الأمور حتى جدّوا وراء العلم، وعملوا على تنشيط الترجمة والنقل.

وقد انطلق المسلمون وراء العلم بدءاً من ولاية الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، الذي كان بارعا في الفقه، وله دراية في علوم شتّى كالفلك والفلسفة، وكان مُشجّعا للعلم وللعلماء، وقد كُثر الجدل في عصر بني العباس بين أصحاب الفرق من المسلمين وبين الأديان الأخرى، وكان المسلمون على علم بالمنطق اليوناني الذي ابتكره أرسطو، ممّا حدا بهم إلى ترجمة الفلسفة اليونانية؛ لإيجاد وسيلة راسخة لدعم الرأي، وإسناد الحُجة، إضافة إلى إتقان الجدل لمجابهة المجوس وغيرهم[12].

ومن المؤكدّ أنَّ المعتزلة كان لهم الأثر الكبير في ازدهار حركة الترجمة في الدولة الإسلامية؛ وذلك لأنّهم فتحوا النافذة الأولى التي دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علم اليونان، بعد أن ترجموها إلى العربية وعملوا على فهم ما فيها، ثم دافعوا عن الإسلام بشدة؛ حيث إنّ الجدل الذي اتّخذه المعتزلة لإقناع خصومهم جعلهم أشدّ حرصا على الاطّلاع على علوم اليونان بعد ترجمتها ونشرها، وكان ذلك في عصر الخليفة المأمون[13]، إذ يعدُّ عصر الخليفة المأمون العصر الذهبي للترجمة؛ فقد نهض بالبلاد نهضة علمية جديرة بالإعجاب، واهتمّ اهتماما كبيراً بحركة

---

[11] نفس المرجع: 242

[12] سالم العيس، ***الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية***، 180

[13] جلال حسني، ***الترجمة في العصر العباسي***، 96، بحث منشور على الرابط: https://repository.najah.edu/bitstream/handle/20.500.11888/9778?sequence=1&isAllowed=y/translation-abbasid-age.pdf

الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد قويت هذه الحركة بفضل العطاء السخيّ من قبل المأمون، الذي كان وافر العلم، وواسع الاطلاع[14].

وقد ساعدت مجموعة من العوامل على ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي منها اتّساع رقعة الدولة العباسية، والتي نجم عنها انضمام الشعوب غير العربية إلى الدولة الإسلامية، وكذلك التطور الاقتصادي الذي عمَّ جميع أرجاء الدولة، فالعصر العباسي شهد تطورا اقتصاديا عظيما لم يسبق به مثيل[15]، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى الدور الرئيسي الذي لعبته المكتبات العمومية والخاصة، وخصوصا بيت الحكمة في بغداد، إذ انطلق التعلّم من هذه المؤسسة، وبرزت مدرسة للترجمة ذات هوية عربية، وكان إسحاق بن حنين، الذي كان في آن طبيبا، فيلسوفا ولغويا ومترجما، أحدَ أهمّ المترجمين في ذلك العصر، وقد كان ينتمي إلى قبيلة عربية مسيحية، ودرس اليونانية في الإمبراطورية البيزنطية، قبل أن يشغل منصب مترجم في بيت الحكمة، ففي بيت الحكمة تَرجم كتب الطب، وصار المسؤولَ عن أعمال الترجمة، وطبيبَ الخليفة في الوقت نفسه وقد قام ابن حنين بالعديد من الأسفار، بحثا عن مخطوطات يمكن ترجمتها، حيث كان الخلفاء العباسيون آنذاك حريصين على سياسة التبادل الثقافي هذه[16].

ولكن ما لبث أن تغيّرت الظروف التاريخية التي أدت إلى مثل تلك الحركة من الترجمة في العالم العربي والإسلامي بشكل كبير، وكان أشدّ هذه التغييرات دراماتيكية هو سقوط بغداد على يد المغول، حيث كانت بغداد مركزا مزدهرا للعالم الإسلامي، وظلت كذلك لأكثر من خمسمائة عام، حتى تمّ تدميرها على يد هولاكو، وقد ترك تدمير بغداد والخلافة العباسية أثرا عميقا على تعلّم اللغة العربية وعلى الترجمة، وكُتب بذلك نهاية العصر الذهبي للترجمة[17].

الترجمة وعصر النهضة

بعد الصدمة التي أحدثتها حملة نابليون على مصر، واستفاقة العرب على واقع تخلّفهم المُزري مقارنة بنهضة الغرب وتقدّمهم العلمي عاد الوعي بضرورة الترجمة وأهميتها لتحقيق التقدم الحضاري، واكتساب أسباب العلم، حيث رأى محمد علي باشا في الترجمة جسرا لا بدّ من عبوره لنقل العلوم من الحضارات التي تقدّمت فيه أشواطا

---

[14] توفيق الطويل، ***الحضارة الإسلامية والحضارة الاوروبية، دراسة مقارنة***، (مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، د.ت)، 108

[15] ابن القفطي، ***تاريخ الحكماء***، (لَيبتسِك، بالألمانية) 1919، 27-29، جلال حسني، ***الترجمة في العصر العباسي***، 96 https://repository.najah.edu/bitstream/handle/20.500.11888/9778?sequence=1&isAllowed=y/translation-abbasid-age.pdf

[16] مصطفى الحسناوي، ***وظيفة الترجمة في العالم الحديث***، المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 14 يناير (2011)

[17] أماني أبور حمة، ***حركة الترجمة في العالم العربي***

إلى الحضارات الراغبة في الالتحاق بها، وبعد ذلك بادر محمد علي إلى اتباع الطريقة التي سلكها أسلافه العباسيون، ويسلكها كلّ راغب في اكتساب العلوم والثقافات، فأرسل البعثات الواحدة تلو الأخرى، وألحّ عليها إلى حدّ التعسف لترجمة ما تحتاجه البلاد من كتب ومؤلفات علمية، وأسّس مدرسة اللغات، ووضع على رأسها رفاعة الطهطاوي الذي يعدّ أحد أكبر رموز النهضة والترجمة في العالم العربي، وكان السبب الذي حوَّل وجه الترجمة من نقل التكنولوجيا إلى نقل الفكر الغربي المُودع في كتب الأدب، فتغلغل في الثقافة المصرية، ومنه إلى أنحاء الوطن العربي[18].

أهمية الترجمة

تستمدّ الترجمة أهميتها من القرآن الكريم، وذلك لأنّ الناس خُلقوا مختلفين في الأجناس والشعوب والقبائل واللغات والعادات وغيرها، مصداقا لقوله تعالى﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ [19]، وقد صارت الشعوب بحاجة إلى التعارف والتفاهم والاستفادة فيما بينها، لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾[20]، ونحن المسلمين نحمل رسالة عالمية للناس كافة، مُطالبين بنقل هذه الرسالة إلى كلّ شعوب العالم، ومن هنا صارت عملية إتقان لغاتهم للتواصل معهم وسيلة ضرورية لتحقيق هذا الهدف، بالإضافة إلى ترجمة الكتب الأدبية، وكتب الدين التي تبيّن حقيقتنا الحضارية البعيدة كلّ البعد عن التعصب والإرهاب، فالترجمة قدرُ مشترك بين كلّ الحضارات والأمم، ولا توجد أمُة ولا حضارة لم تأخذ من غيرها، ولم تتخلف الحضارة العربية عن هذا الدور، فقد حفظت تراث الإنسانية كلها، وزادت عليه ونقلته من تلاها[21].

لم تكن الترجمة يوما مجرد نشاط لساني قائم على ما قيل، أو ما كُتب، بل إنّها فعل معرفي ولساني معقّد، فالترجمة فاعلة في نقل الثقافة، فهي تتجاوز أفقها الفكري والجمالي والإبداعي نحو الآفاق الثقافية الكبرى، لتصبح عنصرا مهما في التنمية البشرية وتطوير الآداب، وبالتالي فهي ظاهرة مهمة من الظواهر المميزة للحركة الثقافية [22].

---

[18] ابن عثمان, شهرزاد، ***الترجمة السياحية في الجزائر بين الركود و التحديات ترجمة المطويات السياحية - مطوية مديرية السياحة و الصناعات التقليدية - تلمسان أنموذجا***، (رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2017)، 12

[19] القرآن، الروم، 30: 22

[20] القرآن، الحجرات، 49:13

[21] عباس محمود العقاد، ***أثر العرب في الحضارة الاوربية***، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998)، 32

[22] جان ألكسان، ***الترجمة الأدبية والتنمية الثقافية***، مجلة الوحدة العدد 63/62 أكتوبر، (1989)، 97

وللترجمة دور كبير في تسيير التنمية البشرية كالتداول التجاري، وإشاعة المعرفة العلمية، ونقل المعلومات وغيرها من العمليات الضرورية للاستفادة من علوم الآخر، وتقنياته في تحقيق التنمية الهادفة إلى ترقية حياة الإنسان، حيث إنّ لها دورٌ ثلاثي الأبعاد؛ لغوي ومعرفيّ وفكريّ، وهي أبعاد مترابطة في حلقة متسلسلة يؤدي أحدها إلى الآخر، ولا تستقي الترجمة أهميتها من كونها تأتي بمصطلحات جديدة في شتّى حقول العلم والمعرفة، وإنّما لكونها ناقلة للمفاهيم عن طريق شرح دلالات تلك المصطلحات، وإدراج مدلولاتها في المنظومة الفكرية العربية[23].

ولا ننسى دور الترجمة في عملية التفاعل بين الأمم والشعوب، وفي رقيّ حضارة الأمة ودورها المركزي في هذا التقارب الحاصل بين الأمم والشعوب، وعن طريقها تُعالج كافة المسائل العالقة بين الدول، إضافة إلى قضية التوفيق بين المصالح المتعارضة، ووجهات النظر المتباينة وتيسير جميع الخلافات القائمة حول العلاقات التي تشكل حجر الزاوية بين الأمم والشعوب[24].

الهوية الثقافية

يمكننا تعريف الهوية بأنها إحساس فرد أو جماعة بالذات؛ إنّها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزني عنهم[25]، وقد عرفت الهوية بأنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية؛ أي ما يكون به الشيء هو، ولا يمكن معرفة هوية أي إنسان دون الصفات التي تخصّه، كما عُرفت الهوية بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة، ومن ناحية أخرى عُرفت الهوية أيضا على أنها مؤشر انتماء الإنسان إلى وطن ومجتمع، وهي وسيلة يدرك من خلالها بأنه يختلف عن الآخر، ويدرك أن الهوية يمكن معرفتها والتعبير عنها من خلال المكوّن الاجتماعي[26].

وقد أدّى تنوّع القيم الاجتماعية إلى إنتاج ثقافات متباينة تم اكتسابها من طبيعة الحياة ومتطلباتها، وبناء على ذلك تتحرك الثقافة وفق حركة الحياة داخل الشعوب، ويتفاعل مكونها المتوارث مع المستحدث في محاولة للاستمرار، وهذا أسّس بدوره لأن تكون هناك مفردات ثقافية عامة يشترك فيها كل البشر، خاصة تلك التي تميّز

[23] لواتي فاطمة، ***الترجمة وحوار الثقافات***، مجلة جسور المعرفة، المجلد 2، العدد 8، 129-139 https://www.univ-chlef.dz/djossour/wp-2016/v02/2017content/uploads/9_08_pdf.

[24] بوفريوة الحاجة، ***الترجمة ودورها الحضاري بين الأمم والشعوب***، مجلة التعليمية، المجلد 3، العدد 8، 5

[25] حبيب صالح محدي، ***دراسة في مفهوم الهوية***، مجلة دراسات إقليمية، العدد 13، (2009)، 3 =https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId 29078

[26] الشريف علي بن محمد الجرجاني، ***التعريفات***، (دار الكتب، بيروت، 1998)، 92

الجماعة البشرية عن بعضها، حتى على مستوى البلد الواحد في إطار من الخصوصية الثقافية والذي عُرف اصطلاحا بمسمّى الهوية الثقافية[27].

ويمكننا القول إنّ الهوية الثقافية هي معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها، من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ودين، وهي السمات والخصائص التي يتميز بها شعب عن غيره من الشعوب، وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد، والعلاقات السائدة، والمنتج الفني والثقافي، والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة[28].

اللغة والثقافة

يمكننا القول إنّ اللغة من أهم العناصر التي تسهم في تكوين الثقافة، فمن بين المهام التي تضطلع بها المجتمعات البشرية مهمة نقل التراث الثقافي، مما يخلّف تأثيرا كبيرا بين اللغة والثقافة، ويجعلها مظهرين لمعرفة مشتركة، والواقع أنَّ علماء اللغة والمجتمع يؤكدون حقيقة أنَّ الثقافة واللغة تمثّلان عند العديد من الشعوب الهوية الأساسية للجماعة البشرية[29].

واللغة العربية هوية الشعوب المعبّرة عن ثقافتها، والجامعة لأفكارها، والرابطة لشتاتها، فهي الوطن الذي ينتمي إليه، وهي المعبّر عن تقدّم الأمم وانحطاطها، فكلّما ارتقت اللغة كان ذلك دليلا قاطعا على تقدّم الأمة، وبذلك ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بهوية الأمة، فاللغة أكبر من مجرد معناها المحدد، وأوسع من كونها مشكلة لغوية، فهي في التحليل النهائي رفد المجتمع العربي، وأداة تفاعل وتواصل، وطريقة في التفكير والتعبير، ونمط من الجمال، وفوق كل هذا هي قضية اجتماعية حضارية ذات علاقة وثيقة بكلٍ من هوية الأمة وشخصية المواطن وتمايزها، ومن ثَمّ فهي عامل حاكم في تقويم الانتماء والولاء لدى المواطن [30].

فإذا أردنا أن نقابل بين اللغة والثقافة من حيث هما نظامان متداخلان في كلّ مستويات الحياة البشرية لرأينا أنَّ الثقافة تسوس السلوك اليومي للفرد كما تسوس اللغة كلامه اليومي، وإذا كان الأفراد الذين يخضعون

---

[27] ابن أباجي نذير، ***ترجمة المضامين الثقافية في كتاب" نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان"***، رسالة ماجستير، إشراف: د. نور الدين بن محمدي، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان (2017)، 13، /benbadji-soufi.pdf1/11210/112http://dspace.univ-tlemcen.dz/bitstream/

[28] محمد منير حجاب، ***الموسوعة الإعرابية***، (دار الفخر للنشر والتوزيع، القاهرة)، 2003، 2609

[29] بسام بركة، ***الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية***، مجلة صحيفة المثقف، العدد:،5022، الجمعة 05 - 06 - 2020م (2012م)،6، pdf2F2C9730https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/document_.

[30] ضياء الدين زاهر، ***اللغة ومستقبل الهوية: التعليم نموذجا***، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2017). 8

لقواعد اللغة يُحدثون فيها تغييرا كلما استعملوها وفق حاجاتهم ووفق تطوّر وسائل التواصل فيما بينهم؛ فإنَّ الأفراد كذلك يطوّرون ثقافتهم مع مرور الزمن غير عمليات التواصل التي يقومون بها داخل المجموعة، ومن الجانب النظري تبدو اللغة شرطاً أساسياً لوجود الثقافة؛ لكون الثقافة تتبع بنية شبيهة ببنية اللغة، فكلاهما يقومان على تقابلات وارتباطات متبادلة؛ أي بعبارة أخرى علاقات منطقية[31].

ويمكن القول إنّ الثقافة من أهم البواعث إلى الترجمة، وتتميز بخصوصية تتعدى الحاجة والمتعة والبواعث الأخرى، بل هي خليط من كلٍّ منها، وتتزايد أهمية الثقافة بتزايد انفتاح الشعوب على بعضها البعض، وهذا الانفتاح لا يتمّ إلا بالترجمة؛ لأنّه عن طريقها يُتاح لكل فرد أن يقرأ بلغته علوم الغرب والشرق، واكتشافاته الحديثة، وبذلك أصبحت الترجمة السبيل إلى الاطلاع على كلّ جديد في الفكر والعلم والفن والأدب[32].

وتعدُّ الترجمة من أهم الظواهر الثقافية، وركيزة من ركائزها، فمن خلالها يتم التواصل والتبادل الحضاري والثقافي، فهي مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة، وترتبط الثقافة باللغة ارتباطا وثيقا؛ لأنّ استيعاب ثقافة ما يعني في المقام الأول استيعاب لغتها.

ولعلّ أخطر ما يهدد هوية الأمة هي مجمل التحديات التي تحيط باللغة، وتلك التشوّهات التي تنهش لغتنا الجميلة، وتحول دون التفاعل الحي بين التراث الثقافي العربي، والثقافة العربية المعاصرة باعتبار أنَّ اللغة هي حلقة التواصل[33].

إنّنا نستطيع القول أنَّ اللغة في أيّ مجتمع ما هي إلا وسيلة تعبير عن ثقافة ذلك المجتمع، وهي وعاء تخزّن في كل ذخائر الإنسان الثقافية، ويحفظ بها التراث، فالإنسان كائن ثقافي يكتسب ثقافته من مجتمعه، ثم ينقلها عن طريق اللغة، فبدون اللغة لن تكون ثمّة طريق أخرى لاستحضار خبرات الماضي وإيصالها للأفراد[34].

---

[31] بسام بركة، ***الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية***، 12

[32] سالم العيس، ***الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية***، 1

[33] ضياء الدين زاهر، ***اللغة ومستقبل الهوية: التعليم نموذجا***، 8

[34] ابن أباجي نذير، ***ترجمة المضامين الثقافية في كتاب" نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان"***، 23

دور الترجمة في الحفاظ على الهوية

الترجمة والفجوة الثقافية

يفهم مصطلح الفجوة الثقافية بالتباين الكبير بين جيلين، أو بين ثقافة طبقة وبين سائر فئات المجتمع الأخرى، وفي هذا الصدد يقول (مالفاكس): إنَّ العامل الماهر قد ينفق على طعامه أكثر من موظف بيروقراطي كبير له نفس الدخل والأجر والوضع الاقتصادي، وترجم د. سمير الشيخ المصطلح وتعليقه عليه بقوله: مفهوم الفجوة الثقافية كاتجاه عام يعنى بالمسائل الخلافية بين الثقافات التي من شأنها أن تحول دون التفاهمات المشتركة، وبعض من هذه الاختلافات تشمل العادات العامة، والسلوكيات والقيم لكل ثقافة[35].

فثقافات الأفراد تتصل بطريقة التفكير، فالألفاظ قد تعني أشياء مختلفة لأفراد من ثقافات مختلفة، وعندما تختلف اللغات ويصار إلى استخدام الترجمة فإنّ إمكانية سوء الفهم تزداد.

ومن الضروري أن يمتلك المترجم ثقافة عامة واسعة؛ أي أن يكون ملما إلماما شاملا بحضارة البلد الذي يترجم عنه نصوصه، والواقع أن ترجمة نص أدبي لا تعني مجرد الخوض في عملية لسانية، بل هي أيضا البحث عن معادلات ثقافية قادرة على أداء المعنى في السياق الثقافي ذا أهمية قصوى في فهم معنى أية رسالة[36].

أوضاع الترجمة في الوطن العربي

على الرغم من الاهتمام المتزايد في البلدان العربية بدور الترجمة وأهميتها، فإنّها لا زالت غير منظّمة ومُهيكلة كما أنَّ هناك نقصا في التكوين، زيادة على أنَّ الترجمات لا تُعاد ترجمتها، حيث أشارت العديد من التقارير إلى عدم وجود اهتمام بالتوثيق إذ لا يُوضع في العمل المترجَم الإحالة عن النسخة الأصلية المُترجم عنها، ناهيك عن عدم وجود رؤية واضحة واستراتيجية معينة تُبرز الهدف من هذه الترجمات، كما أنَّ هناك توزيعاً جغرافياً غير عادل في الترجمات في البلدان العربية؛ إذ توجد بلدان لا تترجم أصلا كموريتانيا واليمن والإمارات، وهناك بلدان تترجم أقل من ذلك كالأردن، وبلدان مُهيمنة في الترجمة كمصر ولبنان[37].

[35] سمير الخليل، ***دليل مصطلحات الدراسات الثقافية، والنقد الثقافي***، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2016)، 241

[36] حفناوي بعلي، ***الترجمة الثقافية، جسور التواصل ومعابر التفاعل***، (دار اليازوري العلمية، 2017)، 64

[37] سعيدة شريف، ***واقع الترجمة في العالم العربي بين الهوية والاحتراف***، مجلة ذوات (مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) العدد 8، 2015، 12

وتعاني الترجمة في العالم العربي من العديد من الإكراهات منها ما يتعلق بالمادة المترجمة، والمترجم نفسه، ودور النشر أو المؤسسة الناشرة للعمل المترجم، ومنها ما يتعلق بالقراءة في العالم العربي بشكل عام؛ حيث لا يتمّ توزيع تلك الكتب المترجمة بالشكل اللائق، ولا يحظى بالأهمية المطلوبة من القارئ العربي نفسه، الذي يعزف بشكل كبير عن القراءة، حيث تفيد الإحصائيات الأخيرة وعلى رأسها تقرير اليونسكو في مجال الترجمة بأنَّ الترجمة لا تزال ضعيفة جدا في العالم العربي مقارنة بدول أخرى، حيث إنَّ العرب الذين يتجاوز عددهم مئتي وسبعين مليون نسمة لا يترجمون سنويا سوى أربعمائة وخمسة وسبعين كتابا، في حين تترجم أسبانيا التي لا يتجاوز تعداد سكانها ثماني وثلاثين مليون نسمة أكثر من عشرة آلاف عنوان سنوياً[38].

الترجمة في فلسطين

لفلسطين إسهام معروف في حقل الترجمة منذ أوائل عصر النهضة، وتعود بداية الإسهام الفلسطيني في هذا الحقل إلى عام ألف وثمانمائة وستين، ومن أوائل الكتب التي تُرجم كتاب "مرشد الأوراد" لفرانسيسكو سوافيواس، ترجمة يوسف دباس اليافي، وقد شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر قفزة في عمل الترجمة في فلسطين؛ حينما ظهرت مجلة النفائس العصرية لخليل بن يدس واعتمدت اعتمادا رئيسا على الترجمة، لا سيّما من اللغة الروسية، ومع بدايات القرن العشرين استمرت الترجمة من الروسية بقوة، وكذلك من اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها، وقد أخذت علامات النضج والقدرة على الانتقاء في الترجمة الفلسطينية، وبرز من بين المترجمين عادل زعيتر، وإسحاق موسى الحسيني، وتبقى صعوبة سرد التطور التاريخي للترجمة في فلسطين بسبب تبعثرهم بعد النكبة، وتشتتهم في أصقاع الأرض، ومن الناحية الكمّية أحدث إنتاج فلسطين في حقل الترجمة مفاجأة كبيرة، ولا سيّما حين يذكر المرء أنّ فلسطين بلدٌ صغير محدود السكان، وأنّ أبناء العرب تعرّضوا فيها لظروف سياسية واقتصادية ونفسية صعبة جدا.

والحقيقة أنه في عهد الخمسينات وحده كان الفلسطينيون إمّا معلّمين وإما مترجمين، وقد أسهموا إلى جانب إخوانهم من الأقطار العربية إسهاما مميزا في إقامة النهضة تربويا وترجميا، وقد ساعدت فلسطين على بلوغ الشأن الرفيع في الترجمة عاملان:

[38] نفس المرجع

العامل الأول: قوة التأهل الثقافي؛ ذلك أنَّ الزمن ليس عملية آلية إنّما عملية استيعاب قبل أن تكون عملية نقل.

العامل الثاني: اتقان اللغة العربية إلى جانب إتقان اللغة الأجنبية؛ وذلك أن الترجمات الفلسطينية بمجموعها تكشف عن تيار متأصل في مجال التمكّن من العربية، واحترام قواعدها وأساليبها. [39]

ويمكن تلخيص حقيقة الوضع العربي الراهن في مجال الترجمة فيما يلي[40]: أولا أكثر البلدان العربية حديثة العهد بنشاط إصدار الكتب تأليفاً وترجمةً، بل إنَّ هناك بلدانا ليس لها أيّ اسم على خريطة صناعة الكتب. و ثانيا، الترجمة من حيث الكم متدنية أشدّ التدني قياسا إلى البلدان الأخرى، وقياسا إلى مقتضيات العصر والنهضة بالإنسان والوطن. و ثالثا، الترجمة في الوطن العربي معظمها أنشطة فردية، حتى وإن صدرت باسم مؤسسة ما هنا أو هناك فهو جهدٌ متعدد التوجهات مما يعكس غياب رؤية وخطة عربية عاملة أو محلية. و رابعا، الغالبة العظمى من الكتب المُترجمة لا تربطنا بما يسمى العلوم الأساسية التي هي دعامة البناء الحضاري، وحصاد جهود البحث والتطوير والمنافسة. وخامسا، ثمّة حاجز فاصل كثيف بين مثقفي العالم العربي وبين إصدارات العالم المتقدمة لأسباب ثقافية، فضلا عن أنَّ استيراد الكتاب جهد فردي. وسادسا، قَدَر كبير من الترجمات صادرُ عن دور نشر لحساب هيئات ومراكز أجنبية، ولذلك فإنَّها تعكس رؤاها ومصلحتها. و سابعا، غياب دليل للمترجمين العرب، وتخصصاتهم وإنجازاتهم على الرغم من أنَّ المنظمة العربية أصدرت دليلا إلا أنَّه قاصرٌ ومعيب. و ثامنا، الافتقار إلى إحصاءات بيولوجية شاملة ومحققة عن الحاضر والتاريخ، مما يعني افتقار المجتمع إلى ذاكرة تسجّل نشاطه الثقافي بما في ذلك الترجمة. ثم تاسعا، غياب الدراسة التحليلية للمترجمات، لتحليل الموضوع وتحليل الأسباب، وأسباب التدني من حيث الكم والكيف، دون الاقتصار على إحصائيات وأرقام مجردة.

التأثيرات الإيجابية للترجمة في بناء الهوية وحفظها

الترجمة قدرٌ مشرك بين كلّ الحضارات والأمم، ولا توجد أمّة أو حضارة لم تأخذ عن غيرها، ولم تتخلف الحضارة العربية عن هذا الدور فقد حفظت تراث الإنسانية كلّها، وزادت عليه، ونقلته إلى من تلاها، ولقد كانت

[39] قسطندي شوملي، ***رواد حركة الترجمة فلسطين،*** بحث منشور على الرابط https://scholar.najah.edu/sites/default/files/conference-paper/pioneers-translation-movement-palestine.pdf، وأبو العمرين، سهام، ***حركة الترجمة والريادة الفلسطينية،*** الهدف، 10 سبتمبر (2018) http://hadfnews.ps/post/45846/، والخطيب، حسام، ***حركة الترجمة الفلسطينية من النهضة حتى أواخر القرن العشرين،*** الطبعة الأولى، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995)، 20

[40] شوقي جلال، العرب والترجمة أزمة... أم موقف ثقافي، مجلة ذوات (مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) العدد 8، (2015)، 38

الترجمة دائمًا جسر تواصل بين الشعوب والحضارات على مرِّ التاريخ تعزّز التلاقي الحضارتين، وترعى التقارب الثقافي بين الشعوب، وتدحض الصدام، وتدعم الحوار والتبادل بين أمم الأرض، وتسهّل التواصل بين الأمم، وتفتح النوافذ على الثقافات الأخرى للشعوب الأخرى ما دامت معرفة الآخر تقود إلى معرفة الذات عن طريقة المقارنة والتواصل، وتوفر الترجمة الأرضية للبحث والإبداع ليقف عليها أهل العلم والإبداع قبل الشروع في أبحاثهم أو بناء نظرياتهم أو نشر إبداعاتهم[41].

وإذا كانت الهوية تُبنى ذاتيا واجتماعيا على أسس تواصلية بين الفرد ومجتمعه، فإنَّ اللغة تدخل في أساس هذ التواصل بين الفرد وذاته، وبين الفرد ومجتمعه، لذا فإنَّ اللغة الأم أساسية في استيعاب المعارف، فهي بقدر ما تدخل في بناء الهوية الفردية والاجتماعية على حدٍ سواء، فإنها تعطي طابعها الثقافي، وتتغير من خلال مجابهة الفرد مع الجماعة والتماهي معها والانفلات منها ثم العودة إليها، وإذا كانت الهوية تقدم هذا التفاعل المتعدد والقائم على انخراط الفرد في مجتمعه فإنَّ اللغة هي الأداة الأولى والأهم في عمليات التواصل والاندماج داخل المجتمع وهي الأداة الأساس لتحديد الهوية والتعرف على الذات[42].

إنَّ الترجمة عامل فاعلٌ في إثراء الهوية الثقافية، فقد ساعدت المسلمين في الإفادة من تراث الحضارات السابقة، وهي الحضارات التي تنتمي إليها الشعوب التي اعتنقت الإسلام ديناً، واتخذت العربية لغة، والترجمة وسيلة تواصل بين الشعوب من خلال المساهمة في ترويج الفكر الإنساني عبر نقله إلى لغات غير لغته، كما أنّها عامل إنقاذ للثقافة من الغرق والحرق والاتلاف والضياع والإقصاء؛ لاحتوائها على بنوك المعرفة الإنسانية والتاريخ الثقافي، ولولا ترمة ابن المقفع لكليلة ودمنة من الفارسية القديمة إلى العربية لضاع هذا الكتاب؛ وذلك بسبب موت اللغة السنسكريتية التي كُتب بها، وكذلك موت اللغة البهلوية الفارسية التي تُرجم إليها، فغدت النسخة العربية أصلا، ولولا الترجمة العبرية لأعمال الفيلسوف العربي ابن رشد لضاعت الفلسفة الرشدية إلى الأبد، ولا تزال الترجمة وسيلة فعّالة لمعرفة الآخر التي في حدّ ذاتها محاولة لمعرفة الذات وتنوير ما بها من مناطق معتمة تتضح عن طريق الترجمة[43].

---

[41] ابن عثمان, شهرزاد، ***الترجمة السياحية في الجزائر بين الركود و التحديات ترجمة المطويات السياحية*** 25

[42] بسام بركة، ***الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية***، 13

[43] ابن عثمان, شهرزاد، ***الترجمة السياحية في الجزائر بين الركود و التحديات ترجمة المطويات السياحية***، 26

إنَّ الترجمة حلقة في سلسلة تبدأ بتحصيل المعرفة في اللغة الأم، وتنتهي بالانتماء إلى الثقافة، مرورا ببناء المنظومة الفكرية وتمتين الانتماء إلى الهوية الفردية منها والاجتماعية، ولكن الترجمة لن تكون بمفردها العامل الوحيد في تطوير الفكر وبناء الهوية؛ إنّما هي عامل من عوامل التطوير والتقدم في مجال الفكر والمعرفة، ومعنى ذلك أنّه يمكن لها أن تكون بمنزلة انطلاقة لوضع لبنة من لبنات البناء الثقافي والحضاري في المجتمع الذي يتلقاها[44].

ومن كلّ ما سبق نوقن أنَّ الترجمة تقوم بدور كبير في عملية التقارب بين الأمم والشعوب والحضارات، فهي كانت ولا تزال هي الوسيلة الأكثر نجاحا في تطعيم الحضارات بعضها ببعض؛ كيف لا وهي تسهم في نقل العلوم من حضارة إلى أخرى، وترجمتها من لغة إلى أخرى، كيف لا وقد أدت الترجمة دور فعالٌ في رقي الأمم والشعوب، وخلقت الحوار بين الآداب المختلفة، وعملت على تضييق الفجوات بين مختلف الحضارات والأمم، كيف لا وهي قد عملت تطوير الفكر وبناء الهوية، والحفاظ عليها من الضياع والتشتت.

إنَّ كثيراً من النماذج الحضارية ما كان لها أن تود لولا الترجمة، لاعتبارات ترتبط أصلا بمتطلبات التطور الحضاري، إذ كلما بلغ هذا الأخير أوجَه، كلّما زادت عوامل الانفتاح اللغوي والثقافي على الآخر، المتعدد، وعلى ثقافته، لأن الحضارات المتطورة لا تترجم نصوص ومعارف حضارات أخرى إلا من موقع قوة، ولقد حصل الوعي منذ البداية، أن الترجمة مسألة لا تتعلق فقط بأذواق وقدرات ورغبات فردية، لأنَّ لها دورا هاما وحاسما في التبادلات الثقافية الكونية وفي جعل المجتمعات والحضارات مُساوِقة لزمنها وفي إغناء أنماط الوجود الاجتماعية، التي تحدد طرق عيشها[45].

ويمكننا القول إنَّ الترجمة عن اللغات الأخرى تُثري الهوية الثقافية وتقوّيها ولا تضعفها، أو تشوّش خصائصها؛ إذ إنَّ الترجمة عامل فاعلٌ في إثراء الهوية الثقافية، حيث ساعدت الترجمة المسلمين في الإفادة من تراث الحضارات السابقة، وهي الحضارات التي تنتمي إليها الشعوب التي اعتنقت الإسلام دينا واتخذت العربية لغة، ولقد ترجم اليونانيون كنوز العلم والفن والرياضيات عن حضارات قديمة جاورتهم كالحضارة الفارسية والمصرية القديمة، كما انتعشت الثقافة العربية الإسلامية بفضل الدماء الجديدة التي جرت في شرايينها من خلال ترجمة

[44] بسام بركة، ***الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية***، 28
[45] مصطفى الحسناوي، ***وظيفة الترجمة في العالم الحديث***

التراث الهندي والفارسي واليوناني القديم، كما انتعشت أوروبا في القرن الخامس عشر مباشرة بعد ترجمة التراث الأندلسي الوافد من الغرب الإسلامي[46].

كيفية النهوض بالترجمة

إنَّ الترجمة إحدى مؤشرات التنمية في أية دولة، إذ ترتبط بنحو وثيق بأهم قطاعات التنمية؛ وهو التعليم من خلال المؤسسات العلمية على وجه الخصوص كالجامعات والمعاهد والمراكز بحثية، والترجمة ليست سوى مخرج من مخرجات النشاط العلمي لأية دولة، والحلول ليست في معالجة النتائج والمخرجات بل في معالجة الأسباب والمدخلات، فالحل الجذري يأتي من الاهتمام بالمؤسسات العلمية، وليس بدور النشر والمُترجمين وأيّ حديث عن كفاءة المترجم وإشكاليات الترجمة تتكفل بحلها المؤسسات العلمية[47].

الترجمة لا يمكن أن تنهض إلا بعنصرين:

الأول: عقد العزم المجتمعي على إنجاز نهضة شاملة لكل مجالات النشاط والحياة في المجتمع من سياسة وإدارة وتعليم واجتهاد ديني عقلي حر، وبحث علمي دون قيود من خارج المنهج العلمي في البحث والتفكير في تناسب مع تحدّيات ومقتضيات حضارة العصر.

الثاني: أولوية إعادة تنظيم البيئة الذهنية للإنسان العربي في إطار رؤية علمية نقدية لواقعنا راهنا وتاريخا، وترسيخ ثقافة الفعل الاجتماعي، والتغيير والتنويع في حرية، والانفتاح على الفكر العالمي في تعدده، والهدف من كلّ هذا بناء عقل جديد لإنسان جديد، ومجتمع جديد، وهذا هو الواجب الأول لأيّة مؤسسة أو وزارة معنية بالثقافة الحقّة لا الثقافة الاحتفالية، ولكنه واجب غائب عن الوعي غياب الحاجة الملحّة إلى النهضة[48].

وكذلك لا بُدّ من أن يحمل أبناء اللغة الفكر المنقول إليهم بواسطة الترجمة، بمعنى أن يتدبّروا مضامينه، ويخضعونها للبحث والتفسير، وهو ما يجعلها تتلاءم مع إطارهم الثقافي، ويتلاحم مع شبكة الأفكار الراسخة في سياق التيارات الاجتماعية والفلسفية والحضارية المعاصرة لعمليات الترجمة التي يتلقونها[49].

---

[46] ابن عثمان, شهرزاد، ***الترجمة السياحية في الجزائر بين الركود و التحديات ترجمة المطويات السياحية***، 25

[47] ***واقع الترجمة في الوطن العربي***، جريدة الخليج، 27 فبراير (2010م)، http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/ce-0-bb4609-36a9bd-1220-5f5d91e28a03

[48] محسن المحمدي، ***الترجمة: وسيلة تلاقح حضاري***، بحث محكم 4 فبراير (2017)، بيت الحكمة ونقل تراث الأوائل، مؤمن بلا حدود للدراسات والأبحاث، 28 https://www.mominoun.com/pdf/wassila.pdf01-2017/1

[49] بسام بركة، ***الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية***، 24

الخلاصة

استعرض الباحث في دراسته مصطلح الترجمة وتطوره عبر العصور، ولاحظ أن الترجمة مرت بفترات متباينة، كان أبرزها في العصر العباسي الثاني، الذي يعد العصر الذهبي للترجمة، ثم بين الباحث العلاقة الوطيدة بين الهوية والثقافة، والتكامل فيما بينهما، واستنبط أن اللغة هي أهم مكونات الثقافة، وتبين أن الترجمة هي عامل مهم في إثراء الهوية والمحافظة عليها، وكان ذلك بعد أن استعرض الباحث هذا الدور الكبير الذي قامت به الترجمة في المساعدة على حفظ هوية الشعوب[50].

المراجع :

Abu Amrain, Siham, Harakah At- Tarjamah Wa Ar- Riyadah Al- Falistiniyah, Al-Hadf, 10 Sibtambir 2018 Http://Hadfnews.Ps/Post/45846.

Abu Rahmah, Amani, Harakah At- Tarjamah Fil Alam Al- Arabi, Majalah The What Majalah Tsaqafiyah Iliktroniyah Nishfi Syahriyah Tasduru Muasasah Mukminum Bila Hudud Liddirasat Wal Abhats, No. 8 2015 Https://Www.Mominoun.Com/Articles3384

Al- Hasnawi, Mustafa, Wadzifah At- Tarjamah Fi Al- Alam Al- Hadits, Al- Ma'had Al-Araby Lil Buhuts Wa Ad- Dirasat Al- Istiratijiyyah, 14 Januari 2011

Al- Khatib, Hisam, Harakah At- Tarjamah Al- Falistiniyah Mi An- Nahdlah Hatta Awahira Al- Qarni Al- 'Isyrin, Ath- Thab'ah Al- Ula. Al- Muassasah Al-Arabiyah Li-Ad- Dirasat Wa An- Nasyr, 1995.

Al- Quran Al- Karim

Al-'Iis, Salim, At- Tarjamah Fi Khidmah Ats- Tsaqafah Al- Jamahiriyah. Ittihadu Al-Kitab Al- Arab, 1999.

Al-Aqad, Abbas Mahmood, Atasar Al- Arab Fi Al- Hadlarah Al- Aurubbiyah. Daaru Nahdlah, Misr Lithiba'ah Wa An- Nasyr, 1998.

Alexan, Jean, At- Tarjamah Al- Adabiyah Wa At- Tanmiyah Ats- Tsaqafiyah. Majalah Al- Wihdah No. 62-63, Oktober 1998.

50

Alhaja, Bufriwt, At- Tarjamah Wa Dauruha Al- Hadlori Baina Al- Umam Wa Asy-Syu'ub, Majalah At-Ta'limiyah, Vol. 3 No. 8.

Aljauhari, Abu Nasr Ismail, Ash- Shahah Tajullughah Wa Shahah Al- Arabiyah, Tahqiq: Ahmad Abdul Ghafur. Dar Al- Ilm Lilmalayin, 1990.

Al-Khalil, Samirr, Dalil Mushthalahat Ad- Dirasat Ats- Tsaqafiyah, Wa An- Naqdu Ats- Tsaqafiyu. Daar Al- Kutub Al- Ilmiyah, Beirut, 2016.

Ath- Thawil, Taufiq, Al- Hadlarah Al- Islamiyah Wa Al- Hadlarah Al- Aurubiyah, Dirasah Muqaranah. Maktabah At- Turats Al- Islami, Al- Qahirah, Duna Tarikh.

Barakah, Bisam, At- Tarjamah Ila Al- Arabiyah: Dauruha Fi Ta'ziziats- Tsaqafah Wa Binaul Hawiyah, Dirasah, Al- Markaz Al- Araby Lil Abhats Wa Dirasah As-Siyasiyah, Doha, 2012 Https://Www.Dohainstitute.Org/Ar/Lists/ACRPS-Pdfdocumentlibrary/Document_9730C2F2.Pdf

Bi'li, Hafnawi, At- Tarjamah Ats- Tsaqafiyah, Jusur At- Tawasul Wa Ma'abir At-Tafa'ul. Dar Al- Yazuri Al- 'Ilmiyah, 2017.

El- Mohammady, Muhsin, A- Tarjamah Wasilah Talaquh Hadlari, Bahats Mahkam, 4 Februari 2017, Baitul Hikmah Wa Naql Turats Al- Awail, Mukminum Bila Hudud Liddirasat Wal Abhats, Https://Www.Mominoun.Com/Pdf-2017/101/Wassila.Pdf

Fatimah, Luwati, At- Tarjamah Wa Hiwar Ats- Tsaqafat, Majalah Jutsur, Al-Mujallad 2, Al- Adad 8. Https://Www.Univ-Chlef.Dz/Djossour/Wp-Content/Uploads/02/2017/V2016_08_9.Pdf

Hijab, Muhamad Munir, Al- Mausu'ah Al- I'rabiyah. Daar Al- Fakr Linnasyr Wa At-Tauzi', Al- Qahirah, 2003.

Husni, Jalal, At- Tarjamah Fi 'Asri Al- Abbasi, Bahats Masyur 'Ala Rabith Https://Repository.Najah.Edu/Bitstream/Handle/9778/20.500.11888/Translation-Abbasid-Age.Pdf?Sequence=1&Isallowed=Y

Ibnu Abaji, Nadzir, Tajamatul Mudlomin Ats- Tsaqafiyah Fi Kitabi "Nudzum Ad-Durur Wal- Aqiyan Fi Bayani Syarafi Bani Ziyan" Risalah Majistir, Isyraf: Nuruddin Bin Mahdi, Kulliyatul Adab, Jami'ah Abi Bekr Belkaid, Tlemcen, Algeria (2017). Http://Dspace.Univ-Tlemcen.Dz/Bitstream/1/11210/112/Benbadji-Soufi.Pdf

Ibnu Al-Qifthi, Tarikh Al- Hukama, Leipzig, Almaniyah 1919 Https://Repository.Najah.Edu/Bitstream/Handle/9778/20.500.11888/Translation-Abbasid-Age.Pdf?Sequence=1&Isallowed=Y

Ibnu Jurjani, Asy- Syarif 'Ali Bin Muhammad, At- Ta'rifaat. Daar Al-Kutub, Beirut, 1998.

Ibnu Mandzur, Lisan Al-Arab. Daar Al-Jabal, Bairut, 1988. Al-Mujalad Ats- Tsani.

Ibnu Utsman, Shahrazad, At- Tarjamah As- Siyahiyah Fi Al- Jazair Baina Ar- Rukud Wa At- Tahadiyat Tarjamah Al- Mathwiyat As-Siyahiyah – Matwiyah Mudiriyah As- Siyahah Wa As-Sina'at At- Taqlidiyah – Tilmisan Anmudzajan. Risalah Linaili Darajah Al- Majistir, Jami'ah Abu Bekr Belkaid, Tlemcen, Algeria, 2017.

Jalal, Syauqi, Al-'Arab Wa At- Tarjamah 'Azimah Am Mauqif Ats- Tsaqafi, Majalah The What Muasasah Mukminum Bila Hudud Liddirasat Wal Abhats, Al-Adad 8, 2015.

Kahil, Sa'idah, Ta'limiyah At- Tarjamah Dirasah Tahliliyah Tathbiqiyah, ('Alim Al-Kutub Al- Hadits, Urdun, Duna Tarikh).

Ma'ruf, Yahya, Dauru At- Tarjamah Wa Al- Mutarjimin Fi Hiwari Al- Hadlarat, Markaz An- Nur 14 Yuliyu 2009 Http://Www.Alnoor.Se/Article.Asp?Id=52614

Mahdi, Habib Solih, Dirasah Fi Mafhumi Al- Hawiyah, Majalah Dirasat Iqlimiyah, No. 13, 2009 Https://Www.Iasj.Net/Iasj?Func=Fulltext&Aid=29078.

Mustafa, Hisamuddin, Ususun Wa Qawaidu Shina'ati At- Tarjamah. Thab'ah Iliktroniyah, 2011.

Mustafa, Sa'ad Ad-Din,Al- Alfadz Al- Farisiyah Fi Asy-Syi'ri Al- Jahili, Majalah Majma' Al- Lughah Al- 'Arabiyah Bidimashq, Al- Mujallad 82, Juz 3 Http://Www.Arabacademy.Gov.Sy/Uploads/Magazine/Mag82/Mag-3-825.Pdf

Sholih, Khalid Yusuf, Harakah At- Tarjamah Fi Biladi Asy- Syam Fi Al-Ashri Al-Umawi, M'had I'dad Al- Mu'alimat, Nineveh, Iraq, Majalah Abhats Kulliyatu At- Tarbiyah Al- Asasiyahh, Al- Mujallad 11, Al- Adad 1, 31 Yuliyu, 2011 Https://Www.Iasj.Net/Iasj?Func=Fulltext&Aid=25554

Shomali, Qustandi, Ruwadu Harakah At- Tarjamah Falistin, Bahts Mansyur 'Ala Rabith Https://Scholar.Najah.Edu/Sites/Default/Files/Conference-Paper/Pioneers-Translation-Movement-Palestine.Pdf

Syarif, Sa'iid, Waqiu At Tarjamah Fi Al- Alam Al- Arabi Baina Al-Hawiyah Wa Al-Ihtiraf, Majalah The What Muasasah Mukminum Bila Hudud Liddirasat Wal Abhats, Al- Adad 8, 2015.

Waqi'u At- Tarjamah Fi Al- Wathan Al- Arabi, Jaridah Al- Khalij, 27 Februari 2010, Http://Www.Alkhaleej.Ae/Alkhaleej/Page/Ce1220Bd-9A4609-36-Bb0C-03A28E91D5F5.

Zahir, Dhiyauddin, Al- Lughah Wa Mustaqbal Al- Hawiyah: At- Ta'liim Namudzajan. Al- Iskandariyah: Maktabah Al- Iskandariyah, Wihdatu Ad- Dirasat Al- Mustaqbaliyah, 2017.